الدعوة إلى الله تعالى بالقرآن الكريم

أ.د. خالد بن عبد الرحمن القريشي

أستاذ الدراسات العليا بالمعهد العالي
للدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدعوة إلى الله تعالى بالقرآن الكريم

أ.د. خالد بن عبد الرحمن القريشي

أستاذ الدراسات العليا بالمعهد العالي

للدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ⓒ خالد عبدالرحمن القـريشي، ١٤٣٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القريشي، خالد عبدالرحمن

الدعوة إلى الله تعالى بالقرآن الكريم./ خالد عبدالرحمن القريشي-

ط١ -الرياض ١٤٣٧هـ

ص ؛ ٠٠×٠٠ سم

ردمك: ٧ -١٨٨٣ -٠٢ -٦٠٣ -٩٧٨

١ -الدعوة الإسلامية أ -العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٣٧/٨٨٢٦

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٨٨٢٦

ردمك: ٧ -١٨٨٣ -٠٢ -٦٠٣ -٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

هـاتف: ٢٤١٦١٣٩ - ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩

فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣

الرقم الموحـد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

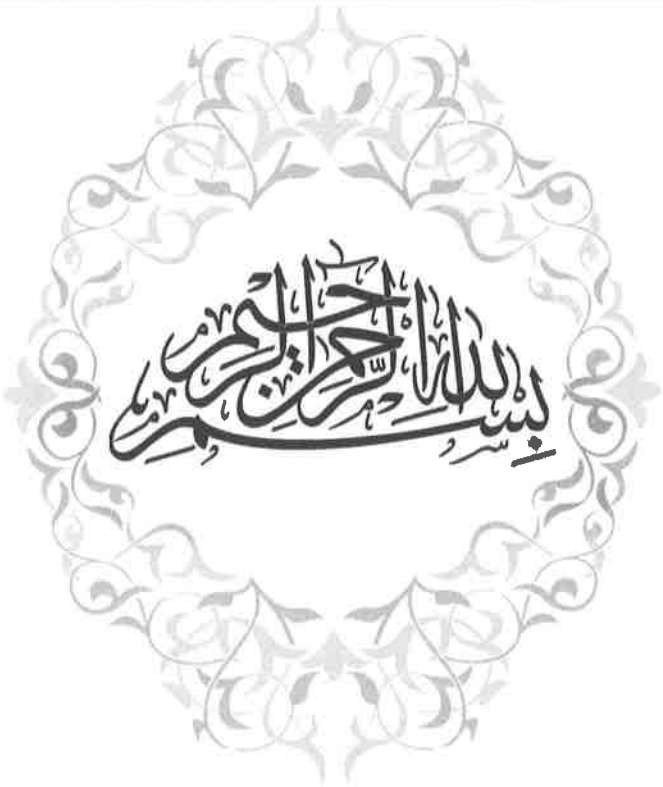
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾(١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾(٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾(٣).(٤).

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧٠، ٧١.

(٤) قال بعض العلماء: هذه الخطبة تسمى عند العلماء بـ خطبة الحاجة وهي تشرع بين يدي كل خطبة، سواء كانت خطبة جمعة أو عيد أو نكاح أو درس أو محاضرة. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد بن ناصر الدين الألباني، ١/ ٣. الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، ط المكتب الإسلامي بيروت. وشرح مقدمة التفسير، محمد بن صالح العثيمين، ص٥، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ط دار الوطن، الرياض.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم أعظم كتاب أنزله الله على خلقه، فهو كلام الله العظيم، وحبله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، ومن تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾[المائدة: ١٥-١٦].

والحديث عن عظمة القرآن الكريم وإعجازه أعظم من أن أحيط به، فكيف بمن يكتب صفحات محدودة في أيام معدودة، فأنى له أن يفي الحديث حقه أو قريبًا منه.

فإنه ما من كتاب مثل كتاب الله سبحانه وتعالى استولى على العقول، وهيمن على القلوب، فأبدعت الألسن في وصفه، وسالت

الأقلام في نعته، حتى لم يُرَ مثل الكتب التي كتبت فيه كمًا وكيفًا، ولا مثل المؤلفات التي كتبت عنه.

فلذا لن أجد أفضل من القرآن كي أشير إلى بعض صفاته وفضائله، التي هي أصدق الأوصاف، وأوفاها لحقّه، فأعظمها وأهمها أنه كلام الله سبحانه وتعالى، نزل به الوحي على رسول الله ﷺ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[التوبة: ٦]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء: ٨٢]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ﴾[فاطر: ٣١]، وقال -عز وجل-: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وقال الله -عز وجل-: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾[النمل: ٦].

هذا ووصفه الله سبحانه وتعالى بالهداية فقال: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾[البقرة: ٢]، وقال -عز وجل-: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[الإسراء: ٩]. ووصفه الله سبحانه وتعالى بالعظمة فقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الحجر: ٨٧] ووصفه بأنه تبيان لكل شيء فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل: ٨٩]. وأقسم الله سبحانه وتعالى به فقال: ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[يس: ٢-٣]، وأمر بتلاوته فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ ﴾[النمل: ٩١-٩٢]. وأمر بتدبره فقال -عز وجل-: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢]، وذمّ الذين لا يسجدون عند تلاوته فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ ﴾ [الانشقاق: ٢١]. وشهد له بالسلامة من العوج فقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الزمر: ٢٨]، وقال -عز وجل-: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ۜ ﴿١﴾ ﴾ [الكهف: ١]. وجعله -عز وجل- شفاءً للناس فقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

هذا وقد بُعث نبينا محمد ﷺ بمعجزته القرآن الكريم في أمة تُحسن تذوق الكلمة، وتحكم صنعتها، وتطرب لجميلها، وتمجّ قبيحها، ملكوها بقدر ما ملكتهم، يسيرونها وتسيرهم، ترفع فيهم وتضع ملكتهم، يسيرونها وتسيرهم، ترفع فيهم وتضع.

فهكذا لم تكن المعجزة في شيء لا يتقنونه، أو في فن لا يُجيدونه، بل تحدّاهم فيما يدركون، وفيما هم فيه بارزون.

جاءت المعجزة قرآنًا يقرؤونه بألسنتهم، ويسمعونه بآذانهم، ويزينونه بموازين كلامهم، فإذا بلغ أبلغ من بليغ الكلام، وأفصح من فصيحه، لا يرتقي إليه بيان، ولا يدركه لسان، فملك البلاغة بألوانها، وجاز الفصاحة بأركانها، وجاءهم بما لا قِبَل لهم برده، ولا قدرة لهم في دفعه، ولا يملكون من أنفسهم معه إرادة، وليست لهم معه مشيئة، إلا أن يضع المعاند أصابعه في أذنيه، ويستغشي ثيابه، ويلغو فيه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[فصلت: ٢٦]، أما من لم يفعل فقد حيل بينه وبين خلافه، فلا يملك إلا أن ينعقد قلبه عليه، وهو يجهد في نقضه، ويستقيم لدعوته، وهو يبالغ في رفضه، فلا مفر منه إلا إليه، فقد أخذ بمجامع القلوب، واستولى على جهات النفوس، فما أعجب شأنه، وأعظم أمره [1].

(١) خصائص القرآن الكريم، د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، ص٩٦، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ، ط مكتبة الحرمين، الرياض.

وأيضًا استمر إعجاز القرآن الكريم بظهور تأثيره العجيب في قلوب الناس جيلًا بعد جيل، ومن شخص لآخر، إلى أن وصلنا إلى العصر الحاضر الذي ظهرت فيه صور كثيرة، وجوانب متعددة من إعجازه العظيم، وقوة تأثيره في النفوس التي تسمع له، أو تتأمل في معانيه وأحكامه ومراميه، فسجلت بإنصاف شهاداتها ومشاعرها وأحاسيسها تجاه القرآن الكريم الذي هو كلام الله العظيم.

هذا وإن إعجاز القرآن الكريم أكبر من أن يحيط به أهل عصر، وأعظم من أن يستوعبه جيل من الأجيال، فلئن أشرف الجيل الأول على قبس من إعجازه، إلى أن وصل إلينا في العصر الحاضر مرورًا بأجيال كثيرة، فإن الأجيال من بعد ستنهل من معينه الذي لا ينضب، ومن وجوه الإعجاز فيه التي تتجدد ولا تنفد.

ولهذه الأهمية الكبيرة لكتاب الله سبحانه وتعالى، وأثره العظيم في انتشار الدعوة بين الناس قديمًا وحديثًا، ظهر لي أن أكتب في بيان هذه الأهمية في الدعوة إلى الله تعالى، خاصة في هذه الأزمان التي أصبح فيها بعض الدعاة إلى الله تعالى يتحدثون بكلام كثير، لا يستدلون فيه إلا بالآيات القليلة، بل إنه في بعض الأحيان لا يُسمع منهم آية واحدة، مع كثرة حديثهم وتشعبه.

ولا نقصد بهذا أن يكتفي الدعاة إلى الله تعالى بالدعوة بالقرآن

الكريم فقط، في جميع دعوتهم، من غير توضيح وبيان، وتفصيل وتعليل، وضرب للأمثلة والشواهد، وذكر للقصص والعبر...؛ لأن هذا يخالف نص القرآن الكريم، وهدي رسول الله ﷺ في عدم الاكتفاء به أثناء الدعوة والحديث مع المدعوين، قال الله -عز وجل-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: ٤٤].

فلذا بعد تأمل واستشارة ظهر لي أن أكتب في هذا الموضوع تحت عنوان: (الدعوة إلى الله تعالى بالقرآن الكريم)، على أن يكون تقسيم البحث على النحو الآتي:

المقدمة:

الفصل الأول: الدعوة بالقرآن الكريم في النصوص الشرعية.

الفصل الثاني: تطبيقات الدعوة بالقرآن الكريم في السيرة، وجهود السلف الصالح.

الفصل الثالث: أثر القرآن الكريم في استجابة بعض المعاصرين، وأقوالهم فيه.

الخاتمة، وقائمة بالمراجع، والفهارس.

وبعد: فلا أزعم الكمال في هذا البحث؛ إذ لا طاقة لي به، ولكن حسبي أن أحاول، وأن أبدأ السير متوكلًا على الله -عز وجل-، مستعينًا بحوله وقوته، متبرئًا من حولي وقوتي، راجيًا منه القبول، سائلًا إياه التوفيق والسداد.

الفصل الأول

الدعوة بالقرآن الكريم في النصوص الشرعية

لقد أيَّد الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ، بالقرآن الكريم، وأمره أن يدعو به، ويعتمد عليه، فهو حبله المتين، وصراطه المستقيم، جعله الله هدى للناس، وحجة عليهم، وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؛ فلذا جاءت النصوص الشرعية الكثيرة التي تأمر بالدعوة بالقرآن الكريم، وتحثُّ عليه، فمن القرآن الكريم:

أولًا: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾، فالله -عز وجل- يخبر أن هذا القرآن أوحى لمنفعة الناس ومصلحتهم؛ إذ فيه النذارة لكم أيها المخاطبون، وكل من بلغه القرآن إلى يوم القيامة؛ ولذا كان مجاهد – رحمه الله تعالى – يقول: «حيثما يأتي القرآن فهو داعٍ، وهو نذير، ثم قرأ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾»[1].

ثانيًا: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾[الأعراف: ٢]. فهذا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، ١١/ ٢٩١، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

خطاب لرسول الله ﷺ لينذر الكافرين بالقرآن، ويذكر به المؤمنين؛ لأنه حوى كل ما يحتاج إليه العباد، وجميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية.

وعندما يقوم الداعية إلى الله سبحانه وتعالى بذلك الأمر – أي الدعوة بالقرآن للقرآن – فعليه أن لا يكون في صدره حرج، أي: ضيق وشك واشتباه؛ لأنه كتاب الله سبحانه وتعالى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلينشرح به صدره، ولتطمئن به نفسه، وليصدع بأوامره ونواهيه، ولا يخش لائمًا أو معارضًا (١).

ثالثًا: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩]. فهكذا يهدي القرآن للتي هي أقوم على وجه الإطلاق فيمن يهديهم، وفيما يهديهم، فيشمل الهدى أقوامًا وأجيالًا بلا حدود من زمان أو مكان، ويشمل ما يهديهم إليه: كل منهج وكل طريق، وكل

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ١٢/ ٢٩٧. والجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ٧/ ١٦٠-١٦١، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار الشام للتراث، بيروت. وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ص٢٤٥-٢٤٦، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت. وفي ظلال القرآن، سيد قطب، ٣/ ١٢٥٤-١٢٥٩، الطبعة الثانية عشرة ١٤٠٦هـ ط دار الشروق، بيروت.

خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان [1]، وهذه الآية الكريمة أجمل الله -جل وعلا- فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم؛ لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة [2]، فما على الداعية إلى الله سبحانه وتعالى، إلا أن يبلغ بالقرآن الكريم ويدعو إليه، فإن فعل فهو يهدي للتي هي أقوم.

رابعًا: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء: ٨٢].

فكلامٌ هذه صفته: شفاء ورحمة، حريٌ بالداعية إلى الله -عز وجل- أن لا يغفل عنه في دعوته للآخرين، وخاصة في دعوته للمؤمنين الذين قصر الله سبحانه وتعاليعليهم الشفاء بالقرآن، والرحمة به.

والشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب من أمراض الشهاب والشهوات، وعام لشفاء الأبدان من أمراضها وآلامها وأسقامها.

وأما الرحمة فذلك لما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها،

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٢١٥.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجلكني الشنقيطي، ٣/ ٤٠٩، دون تاريخ الطبعة ورقمها.

فمتى فعلها العبد، فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل [1].

خامسًا: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾[الإسراء: ١٠٦]. فالله سبحانه وتعالى، نزَّل القرآن منجمًا ومفرقًا على الوقائع والأحداث إلى رسول الله ﷺ في ثلاثة وعشرين سنة ليقرأ عليهم ويبلغهم إياه على مهل، ليدبروا آياته، ويؤمنوا به [2]. وكذلك ينبغي على كل داعية حريص على الاقتداء بنبينا محمد ﷺ أن يقرأ القرآن على الناس ويدعوهم به على مهلٍ، ليتربوا بما فيه من حكم وعلوم نافعة.

سادسًا: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الأنبياء: ٤٥] فهذا أمرٌ من الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ بأن ينذر الناس كلهم ويدعوهم بالقرآن الذي هو وحي من الله، فإن استجابوا فلأنفسهم، وإن لم يستجيبوا؛ فذلك لأن الصوت –القرآن الكريم– الذي لامس أسماعهم لم يجد قلبًا

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ٣١٦-٣٢١. وتيسير الكريم الرحمن، عبدالرحمن السعدي، ص٤١٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ٣/ ٦٩، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، ط دار الفكر بيروت.

قابلًا للهدى، فكان كالأصم الذي لا يسمع صوتًا، ولا يدري ماذا يقول المتحدث معه [1]. وكذلك الداعية إلى الله سبحانه وتعالى، ينذر الناس بالقرآن ويخوفهم به، فمن لم يستجب منهم؛ فذلك لأن قلبه خالٍ من الخير والقبول به، فهو كالأصم في عدم الانتفاع بما في الأصوات من معانٍ وأخبار.

سابعًا: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾[الفرقان: ٥٢]. فهذه الآية نصٌّ صريحٌ على أن الدعوة بالقرآن الكريم من أعظم أبواب الجهاد في سبيل الله تعالى؛ إذ سماه الله سبحانه وتعالى جهادًا، بل كبيرًا، فما أعظم شرف الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى بلقب المجاهدين جهادًا كبيرًا، وما أكبر هذه النعمة عليهم التي تستحق منهم الشكر والإخلاص والعمل والدؤوب بالمجاهدة بالقرآن للكافرين، وغيرهم من عصاة المسلمين؛ لأن الذي يجاهد به الكفار، يكون من باب أولى أن يجاهد به أهل المعصية من المسلمين، وعن هذا يقول الشيخ عبدالحميد بن باديس – رحمه الله تعالى –: «وكما يجاهد أهل الكفر بالقرآن العظيم الجهاد الكبير، كذلك يجاهد به أهل المعصية؛ لأنه كتاب الهداية لكل ضال، والدعوة

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١١/ ٢٩٢. وتفسير ابن كثير، ٣/ ١٨١. وتفسير ابن سعدي، ص٤٧٣.

لكل مرشد، وفي ذكر الكافرين تنبيه على العصاة من التنبيه بالأعلى على الأدنى، لاشتراكهم في العلة وهي المخالفة.. وكما أن الجهاد بالقرآن العظيم هو فرض عليه – أي رسول الله ﷺ فكذلك هو فرض على أمته، هكذا على الإجمال، وعند التفصيل تجده فرضًا على الدعاة والمرشدين الذين يقومون بهذا الفرض الكفائي على المسلمين، فالنبي ﷺ قدوة لأمته فيما اشتملت عليه الآية من نهي وأمر» (١).

ولذلك فإن الدعوة بالقرآن الكريم هي الميزان الذي يعرف به صلاح الداعية وصدقه وسلامة منهجه، قال الشيخ ابن باديس – رحمه الله تعالى –: «عندما يختلف عليك الدعاة الذين يدّعي كل منهم أن يدعوك إلى الله تعالى، فانظر من يدعوك بالقرآن إلى القرآن – ومثله ما صح من السنة؛ لأنها تفسيره وبيانه – فاتبعه؛ لأنه هو المتبع للنبي ﷺ في دعوته وجهاده بالقرآن، والمتمثل لما دلت عليه أمثال هذه الآية الكريمة من آيات القرآن» (٢).

ثامنًا: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا

(١) تفسير ابن باديس، ص ٢٥٢، طبعة ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ط مؤسسة المعارف للنشر والطبع، الجزائر.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥٣.

وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[القصص: ٥٩]. وهذه الآية مما يبين أهمية الدعوة بالقرآن؛ إذ جعل الله سبحانه وتعالى سماع تلاوة الآيات حدًا فاصلًا لنزول العذاب على الكافرين؛ وذلك لقيام الحجة عليهم بسماعهم للقرآن الكريم الذي هو أبلغ وسيلة، وأعظم سببٍ للإيمان بالله -عز وجل-، والدخول في دينه [1].

ومثل هذه الآية قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[التوبة: ٦]. فلو لم يكن للقرآن العظيم تأثير عظيم في قلوب سامعيه، لما كان هو الحد الفاصل لنهاية إجارة المشرك.

تاسعًا: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾[ق: ٤٥]؛ وذلك لأن القرآن يهزُّ القلوب، ويجعلها في خوف من شدة عذاب الله إن لم تؤمن بالقرآن، وتعمل بما فيه؛ فلذا كان القرآن الكريم أعظم سلاح يستخدمه الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى في دعوتهم للناس.

فهذه بعض الآيات التي تدل على عظم القرآن الكريم، وأهميته

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣/ ٣٠١-٣٠٣. وتفسير ابن كثير، ٣/ ٣٩٧. وتفسير ابن سعدي، ص٥٧١.

في الدعوة إلى الله -جل جلاله-، وهي كثيرة جدًا أكتفي بما سبق، وذلك طمعًا في الاختصار، ولدلالة ما سبق على المقصود وكفايته.

هذا وقد كان رسول الله ﷺ، يدعو إلى الله تعالى، بالقرآن الكريم، وذلك بقوله وعمله، وهديه وسمته؛ فلذا لما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عن خلقه، قالت: «فإنَّ خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»[1]. أي: أن النبي ﷺ، كان يتمثل القرآن في جميع أموره وأحواله، وأقواله وأفعاله، ومنها النصوص التي جاءت تؤكد حرص الرسول ﷺ على الدعوة بالقرآن والحث عليه، وهي كثيرة جدًا، أذكر منها النصوص الآتية:

أولًا: عن الصحابي الجليل عثمان بن عفان -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ، قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [2].

يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله تعالى –: «وفي الحديث الحث على تعليم القرآن، وقد سئل الثوري عن الجهاد وإقراء القرآن، فرجح

---

(١) جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم في صحيحه، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، برقم ٧٤٦، ١/ ٥١٢، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ٦/ ١٣١، برقم ٥٠٢٧، طبعة ١٤١٤هـ ط دار الفكر، ببيروت.

الثاني واحتج بهذا الحديث» [1]. وهذا الحث والفضيلة العظيمة لمن تعلم القرآن وعلمه، هو الذي جعل التابعي الجليل أبا عبدالرحمن عبد الله بن حبيب السلمي [2]– رحمه الله تعالى – راوي هذا الحديث يقول: «وذلك الذي أقعدني مقعد هذا»، أي: في الجلوس مدة طويلة من زمن خلافة عثمان بن عفان –رضي الله عنه– إلى زمن الحجاج لتعليم الناس القرآن الكريم. وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه الدعاة إلى الله تعالى في جميع حياتهم ودعوتهم للآخرين.

ثانيًا: عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، قال: قال النبي ﷺ: «ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده...» [3]. فتلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى، سبب لنزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحف الملائكة، وذكر لله للتالي

---

(١) فتح الباري، ٨/ ٦٩٤. وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، ٢٠/ ٤٣-٤٤، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار إحياء التراث العربي، ببيروت.

(٢) أبو عبدالرحمن عبدالله بن حبيب بن ربيعة السلمي الكوفي القارئ، ولأبيه صحبة، تابعي ثقة، مات عام ٧٢هـ، وقيل: ٩٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب، شهاب الدين أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني، ٥/ ١٦١، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ط دار الفكر، بيروت.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم ٢٦٩٩، ٤/ ٢٠٧٤.

فيمن عنده، فما أعظم هذا الترغيب، والحث على تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى، وتدارسه وتعليمه والدعوة إليه، سواء في بيوت الله أو في غيرها من الأماكن، يقول الإمام النووي – رحمه الله تعالى –: «وفي هذا – الحديث – دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد... ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة، الاجتماع في مدرسة ورباط، ونحوهما» (١).

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله تعالى الحرص على الدعوة بالقرآن وتلاوته في المجالس والأماكن التي يدعون فيها إلى الله -عز وجل-؛ ليفوزوا بما جاء في هذا الحديث وغيره من الترغيب العظيم.

ثالثًا: عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ، قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثو عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار» (٢). إن في هذا الحديث حثًا على المبادرة بالدعوة بالقرآن الكريم وتبليغه للمدعوين؛ وذلك لما فيه من التأثير والفائدة العظيمة التي تعود على الآخرين بسماعهم للقرآن حتى ولو آية منه، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله تعالى –: «قال في الحديث: «ولو آية»، أي: واحدة، ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي، ولو

(١) شرح النووي على صحيح مسل، ١٧/ ٢١-٢٢، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ، ط دار الفكر، بيروت.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٤/ ١٧٥، ٣٤٦١.

قلّ، ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به»[1].

رابعًا: عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[2]. في هذا الحديث علل الرسول ﷺ كثرة أتباعه بنزول القرآن عليه، وأنه هو السبب في كثرة أتباعه والمؤمنين به، وأن الأنبياء الذين قبله أعطوا من المعجزات الباهرات ما آمن عليه البشر، ولكن معجزته وآيته أعظم من معجزات الآخرين؛ فلذا كان أكثرهم تابعًا يوم القيامة. هذا وإن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار، إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه. وكذلك فإن المعجزات الماضية كانت حسية، تُشاهد بالأبصار: كناقة صالح، وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة، فيكون من يتبعه لأجلها أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد

(١) فتح الباري، ٦/ ٥٧٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، ٦/ ١١٨، برقم ٤٩٨١. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد إلى جميع الناس، ١/ ١٣٤، برقم ١٥٢.

الأول مستمرًا[1].

يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله تعالى – عند قوله ﷺ: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»،: رُتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة، لكثرة فائدته، وعموم نفعه، لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون، فعم نفعه من حضر، ومن غاب، ومن وجد، ومن سيوجد، فحسن ترتيب الرجوى المذكورة على ذلك، وهذه الرجوى قد تحققت، فإنه أكثر الأنبياء تبعًا» [2]، كما أخبر النبي ﷺ بذلك في الحديث المتفق عليه، بقوله: «عُرضت علي الأمم، فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهطُ، والنبي ليس معه أحد، حتى رُفع لي سوادٌ عظيم، قلت: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: هذا موسى وقومه، قيل لي: انظر إلى الأفق، فإذا سوادٌ يملأ الأفق، ثم قيل لي انظر ههنا وههنا في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل هؤلاء أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفًا بغير حسابٍ»[3].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٨/ ٦٢١-٦٢٢.

(٢) المرجع السابق، ٨/ ٦٢٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، برقم ٥٧٠٥، ٧/ ٢١. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، برقم ٣٧٤، ١/ ١٩٩.

فلذا ينبغي على الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، الحرص على الاستفادة من هذه المعجزة الباقية –القرآن الكريم – والرجوع إليها، والاستعانة بها دائمًا في دعوة الآخرين، لتحقيق أعظم النتائج والآثار المرجوة من الهداية والاستقامة والتقوى.

الفصل الثاني

تطبيقات الدعوة بالقرآن في السيرة وجهود السلف الصالح

فكما سبق ذكره في الفصل السابق من أن سبب كثرة أتباع النبي ﷺ والمؤمنين بدعوته هو الوحي الذي أوحاه الله تعالى عليه – القرآن الكريم – لذا فإن الأمثلة التي يمكن أن يستشهد بها على تطبيق الدعوة بالقرآن الكريم كثيرة جدًا بكثرة الأتباع والمؤمنين، كيف لا وقد وصف الله سبحانه وتعالى أثر القرآن الكريم في المؤمنين عند سماعهم له بقوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الزمر: ٢٣].

وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٠٦ – ١٠٩].

ولكثرة الأمثلة والشواهد سأكتفي من هذه التطبيقات بأخذ عينة تدل على المقصود وتحقق المراد، وهي على النحو الآتي:

الأول: عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: حدثني علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، قال: لما أمر الله رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه وأبو بكر الصديق، حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب...- إلى أن قال -: ثم دفعنا إلى مجلس آخر، عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر، وكان مقدمًا في كل خير، فسلم وقال: ممن القوم؟

فقالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما وراء هذا القوم غرّ، هؤلاء غرر قومهم، وفيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك. وكان مفروق ابن عمرو وقد غلبهم جمالًا ولسانًا، وكان له غديرتان [1] تسقطان على تربته، وكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر.

---

(١) واحدتها: غديرة، وهي الذوائب، أي الشعر المضفور، انظر: النهاية في غريب الحديث، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، ت: محمود الطناحي، وطاهر الزاوي، ٣/ ٣٤٤-٣٤٥، مادة (غدر)، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط أنصار السنة المحمدية، باكستان. والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وزملاؤه، ٢/ ٦٤٥، مادة (غدر)، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار الدعوة، استانبول، تركيا.

فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟

فقال مفروق: إنا لنزيد على ألف، ولن يغلب ألف من قلة.

فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟

قال مفروق: علينا الجهد، ولكل قوم جد.

قال أبو بكر: كيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟

قال مفروق: إنَّا لأشد ما نكون غضبًا حين نلقى، وإنَّا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنَّا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصرمن عند الله، يديلنا مرة، ويديل علينا أخرى. لعلك أخو قريش؟

قال أبو بكر: وقد بلغكم أنه رسول الله ﷺ، فها هو ذا.

قال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك. قال: فإلامَ تدعو يا أخا قريش؟

قال ﷺ: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وأن تؤوني وتنصروني، فإن قريشًا قد تظاهرت على أمر الله، فكذبت رسله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد».

فقال مفروق بن عمرو: إلامَ تدعونا يا أخا قريش؟

فتلا رسول الله ﷺ: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ

أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾[الأنعام: ١٥١].

قال مفروق: وإلامَ تدعو يا أخا قريش؟

فتلا رسول الله ﷺ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[النحل: ٩٠].

فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال. وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة.

فقال: وهذا هانئ بن قبيصة، شيخنا، وصاحب ديننا.

فقال: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك لمجلس جلسته إلينا زلة في الرأي، وقلة فكر في العواقب، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدًا، ولكن ترجع ونرجع، وتنظر وننظر. وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى به حارثة. فقال: وهذا المثنى بن حارثة، شيخنا، وصاحب حربنا.

فقال المثنى: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا، واتباعنا إياك على دينك، وإنما أنزلنا بين ضرتين.

فقال رسول الله ﷺ: ما هاتان الضرتان؟

قال: أنها كسرى ومياه العرب، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى، لا نحدث حدثًا، ولا نؤوى محدثًا، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعو إليه، مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب، فعلنا.

فقال رسول الله ﷺ: ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه. أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلًا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءكم، أتسبحون الله وتقدسونه؟

فقال النعمان بن شريك: اللهم نعم.

قال: فتلا رسول الله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾[الأحزاب: ٤٥-٤٦]. ثم نهض رسول الله ﷺ قابضًا على يد أبي بكر وهو يقول: «يا أبا بكر أية أخلاق في الجاهلية، ما أشرفها، بها يدفع الله بأس بعضهم

عن بعض» [1].

فرسول الله ﷺ في هذه القصة يدعو هذا الوفد الذي قدم للحج، قبل الهجرة للمدينة، بتلاوة آيات من القرآن عليهم، بل إنه يجيب على أسئلتهم بذكر الآيات التي فيها الجواب عما سألوا؛ فلذا كان الأثر فيهم واضحًا عندما قال مفروق بن عمرو: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال.

الثاني: عن خالد العدواني -رضي الله عنه - أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس، أو عصا، حين أتاهم يبتغي عندهم النصر. قال: فسمعته يقرأ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾[الطارق: ١]، حتى ختمها، قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام. قال: فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم. فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا

(١) أخرجه في الثقات: محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم التميمي البستي، ت: شرف الدين أحمد، ١/ ٨٠-٨٨، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ، ط دار الفكر بيروت. ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: الدكتور عبدالمعطي قلعجي، ٢/ ٤٢٢-٤٢٧، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، ط دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت. والرياض النضرة في مناقب العشرة، أبو جعفر أحمد بن عبدالله بن محمد الطبري، ت: عيسى الحيري، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت. وقال عنه الحافظ بن حجر: «إسناده حسن». انظر: فتح الباري، ت: محب الدين الخطيب، ٧/ ٢٢٠، الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ، ط المكتبة السلفية، القاهرة.

نعلم ما يقول حقًا لتبعناه [1].

فرسول الله ﷺ يذهب إلى الناس ويسافر إليهم في بلادهم، فيدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى بتلاوة آيات من القرآن الكريم عليهم، ولعظم أثر هذه الآيات في نفوس سامعيها لم ينسها الصحابي الجليل خالد بن أبي جبل العدواني الطائفي [2]؛ إذ قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام.

الثالث: عن أم سلمة -رضي الله عنها- أنها قالت في شأن هجرتهم إلى الحبشة، (بلاد النجاشي):... فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا على أن يرسلوا إليه، فبعثوا عمرو بن العاص، وعبد الله ابن

---

(١) المسند، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، برقم ١٩٠٦١، ٤/ ٣٣٥، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت. وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: «وعبدالرحمن ذكره ابن أبي حاتم ولم يخرجه أحد، وبقية رجاله ثقات»، ٧/ ١٣٦، طبعة ١٤٠٧هـ، ط دار الريان للتراث القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت. وقال أحمد بن عبدالرحمن الساعاتي، في الفتح الرباني: «سنده جيد»، ٢٠/ ٢٤٣، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت. وقال الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة: قال الحسيني: «مجهول (أي عبدالرحمن) وصحح ابن خزيمة حديثه، ومقتضاه أن يكون عنده من الثقات». انظر: تعجيل المنفعة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، ت: إكرام الله بن إمداد الله، ١/ ٢٤٨، الطبعة الأولى، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، المعروف بابن حجر، ت: الدكتور طه محمد الزيني، ٣/ ٥٢، الطبعة الأولى، ط مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

أبي ربيعة، فجمعوا هدايا له ولبطارقته، فقدموا على الملك، وقالوا: إن فتية منا سفهاء فارقوا ديننا، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه، ولجؤوا إلى بلادك، فبعثنا إليك لتردهم. فقالت بطارقته: صدقوا أيها الملك. فغضب، ثم قال: لا لعمر الله لا أردهم إليهم حتى أكلهم، وقوم لجؤوا إلى بلادي واختاروا جواري. فلم يكن شيء أبغض إلى عمرو وابن أبي ربيعة من أن يسمع الملك كلامهم، فلما جاءهم رسول النجاشي، اجتمع القوم وكان الذي يكلمه جعفر بن أبي طالب، فقال النجاشي: ما هذا الدين؟

قالوا: أيها الملك، كنا قومًا على الشرك، نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، ونستحل المحارم والدماء، فبعث الله إلينا نبيًا من أنفسنا، نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده، ونصل الرحم، ونحسن الجوار، ونصلي ونصوم.

قال: فهل معكم شيء مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته، فأمرهم فنشروا المصاحف حوله.

فقال لهم جعفر: نعم، فقرأ عليهم صدرًا من: سورة كهيعص. فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم.

ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى، انطلقوا راشدين، لا والله، لا أردهم عليكم، ولا أنعمكم عينًا [1].

وعن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما-، قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾[المائدة: ٨٣] في النجاشي وأصحابه [2].

فما أعظم أثر القرآن الكريم في نفوس سامعين، سواء أكانوا من المسلمين أم من غيرهم، وسواء كانوا من عامة الناس، أم من ملوكهم وسادتهم، فهذا النجاشي وبطارقته لم يملكوا أنفسهم عند سماع آيات القرآن الكريم حتى بكوا وأخضلوا لحاهم.

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يحرصوا على تلاوة آيات القرآن

---

(١) أخرجه: الإمام أحمد في مسنده، برقم ١٧٤٥، ١/ ٢٠١-٢٠٢، وبرقم ٢٢٦٤٥، ٥/ ٢٩٠-٢٩٢. وقال عنه الهيثمي في المجمع ٦/ ٢٤-٢٧: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع». انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ١/ ٢١٥-٢١٦، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، ت: عبدالغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، برقم ١١١٤٨، ٦/ ٣٣٦، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٩/ ٤١٩: «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن عثمان بن بحر، وهو ثقة».

الكريم على من يدعونهم إلى الإسلام إذا أرادوا تحقيق أعظم النتائج وأكبرها.

الرابع: عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-، أنه قال: اجتمعت قريش يومًا فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فَرّق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه.

فقالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد. فأتاه عتبة، فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ. قال فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة[1] قط أشأم على قومه منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا، وأن في قريش كاهنًا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى، أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى.

ثم قال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت مني العشيرة،

(١) السخل: المولود المحبب إلى أبويه، وهو في الأصل ولد الغنم. انظر: النايـة في غريـب الحـديث والأثـر، مجدالدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، ٢/ ٣٥٠، مادة (سخل).

والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني حتى أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

فقال له رسول الله ﷺ: يا أبا الوليد أسمع.

قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا. وإن كنت تريد به سرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع [1] على الرجل حتى يتداوى منه.

حتى إذا فرغ عتبة، قال له النبي ﷺ: «فرغت يا أبا الوليد؟».

قال: نعم.

فقال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا

(١) التابع: الجني الذي يتبع المرء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، ١/ ١٨٠، مادة (تبع).

عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾﴾[فصلت: ١-٥].

واستمر النبي ﷺ يقرأ حتى بلغ قوله تعالى:

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣]، فأمسك عتبة على فيه، وناشده الرحم أن يكف عنه، ثم قام عتبة إلى أصحابه.

فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: إني والله قد سمعت قولًا ما سمعت مثله قط، إني أتيته، وقص عليهم القصة، فأجابني بشيء والله ما هو بسحر، ولا بشعر، ولا كهانة، قرأ عليَّ من القرآن حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣]، فأمسكت بفيه، وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب، فخفت أن ينزل عليكم العذاب.

وقال لهم: يا معشر قريش: أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا

الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.

قال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم [1].

هكذا كان تأثير القرآن في قلوب الأعداء، يخلع منهم القلوب، فيطير النوم من عيونهم، ويبحثون عن سكن لها، حتى إذا ما وجدوه وكادوا أن يستكينوا له، أخذت بعضهم العزة بالإثم، فارتدوا على أدبارهم، ما يمنعهم إلا الكبر والعناد.

ولأنَّ الكفار يدركون تأثير القرآن في نفوس سامعيه، فإنهم كانوا يخشون استيلاءه على قلوب الناس عند سماعه، فكانوا يستقبلون

---

(١) انظر: دلائل النبوة، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، ت: محمد محمد الحداد، ٢/ ٢٢٠-٢٢٢، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، ط دار طيبة، الرياض. وانظر: مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، ت: حسين سليم أحمد، ٣/ ٣٥٠، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ط دار المأمون للتراث، دمشق. وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٠: «رواه أبو يعلى وفيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات». وفي رواية أخرى أن الذي سمع من الرسول ﷺ سورة فصلت وحدثت من هذه القصة هو الوليد بن المغيرة، انظر: جامع البيان، الطبري، ٢٨/ ١٥٥-١٥٧. والبداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار المعارف، بيروت.

الوافدين إلى مكة، ويحذرونهم من الاستماع إلى محمد ﷺ، أو مجالسته، كلُّ هذا لما يعرفون من تأثيره في النفوس.

بل كانوا إذا شرع في القراءة يخشون كل الخشية أن يصل إلى أذهانهم، فلا يستطيعون ردّه عن الاستيلاء على قلوبهم، فيسعون جهدهم لقطع هذا التيار من النفاذ إلى القلب: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾[فصلت: ٢٦]، وحين قال زعماؤهم هذه المقولة، فإنهم لم يقولوها وهم في منحى من تأثيره، فلولا أنهم أحسوا في أعماقهم روعته وأدركوا في قلوبهم تأثيره ما حذروا قومهم هذا التحذير، وما تنادوا هذا النداء، وقد كانوا يتأثرون لكنهم كانوا يستكبرون.

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله تعالى الاستمرار على الدعوة بالقرآن الكريم، وإن لم يروا الأثر بأعينهم، أو يشعروا به، فإنه لا بد وأن يكون له أثر في نفس سامعه مهما كان من البعد عن دين الله، ومهما كان في الكبر والجبروت.

الخامس: عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالًا. قال: لم. قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتعرض لما قبله. قال: قد علمت قريش أني

من أكثرها مالًا. قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكر له، أو أنك كاره له. قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره من غيره. فنزلت: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾[المدثر: ١١] إلى قوله: ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾[المدثر: ٢٨] (١).

فهذه شهادة عدو من أعداء الله سبحانه وتعالى، في القرآن العظيم، لم يستطع أن يكتمها، لظهورها وغلبتها، فأقرّ بها، ولكن غلبت عليه شهوته، فقتل كيف قدر.

السادس: ذكر ابن هشام – رحمه الله تعالى – قصة إسلام عمر –

(١) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله، أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبدالقادر عطا، وقال عنه الحاكم: «فهذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي ٢/ ٥٥٠، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت. وانظر: دلائل النبوة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: د. عبدالمعطي قلعجي، ٢/ ١٩٩، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ط دار الريان للتراث، القاهرة. وقال عنه بعد أن أخرجه من طرق متعددة: «وكل ذلك يؤكد بعضًا».

رضي الله عنه- وسياقها أنه قال: «وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد، وهم مستخفون بإسلامهم من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحام، رجل من بني عدي، قد أسلم أيضًا مستخفيًا بإسلامه من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يومًا متوشحًا سيفه، يريد رسول الله ﷺ، ورهطًا من أصحابه، فذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين، ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق، وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في رجال من المسلمين، ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه نعيم بن عبد الله، فقال: أين تريد يا عمر؟

قال: أريد محمدًا هذا الصابئ، الذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فاقتله.

فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا، أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم.

قال: وأي أهل بيتي؟

قال: ختنك، وابن عمك سعيد بن زيد، وأختك فاطمة، فقد والله أسلما وتابعا محمدًا ﷺ على دينه، فعليك بهما.

فرجع عمر عائدًا إلى أخته فاطمة، وعندها خباب بن الأرت، معه صحيفة فيها «طه» يقرئها إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة، فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التي سمعت؟

قالا له: ما سمعت شيئًا.

قال: بلى، والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته، وختنه: نعم، قد أسلمنا، وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى عمر ما بختنه من الدم، ندم على ما صنع وارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي كنتم تقرؤون آنفًا، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتبًا.

فلما قال ذلك، قالت له أخته: إنا نخشاك عليها.

قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأ إليها.

فلما قال ذلك طمعت في إسلامه، فقالت: يا أخي إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسه إلا المطهرون.

فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها «طه» فقرأها، فلما قرأ منها صدرًا، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه.

فلما سمع ذلك خباب بن الأرت، خرج إليه فقال له: والله يا عمر إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ، فإني سمعته أمس وهو يقول: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب» [1] فالله الله يا عمر.

فقال عند ذلك: فدلني يا خباب على محمد، حتى آتيه فأسلم»[2].

فعمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي كان يظن بعض الصحابة أن يسلم الحمار، ولا يسلم هو، لشدته على المسلمين، وبُعده عن الدين، يعلن إسلامه بعد سماعه لآيات القرآن الكريم، يقول ابن هشام – رحمه

---

(١) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، ت: أحمد شاكر، كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب، برقم ٣٦٨١، ٥/ ٥٧٦، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت. وقال عنه الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب».

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/ ١٨٧-١٨٩. وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٣/ ٧٩-٨١. وقال الدكتور/ مهدي رزق الله أحمد، في كتابه السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: «واستفاضة ذكر هذه القصة عند أهل المغازي والسير، دليل على أن لها أصلًا تاريخيًا فلا مانع من قبولها تاريخيًا» ص٢١٤، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

الله تعالى –: «عن أم عبد الله بنت أبي حثمة –رضي الله عنها– قالت: والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر بن ربيعة في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر، فوقف عليّ، وهو على شركه، فقالت: وكنا نلقى منه أذى لنا، وشدة علينا، قالت: فقال: إنه الانطلاق يا أم عبد الله؟

قلت: نعم والله، لنخرجن في أرض من أرض الله، إذ آذيتمونا، وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجًا.

قالت: فقال: صحبكم الله. ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا، قالت: فجاء عامر بحاجتنا تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله، لو رأيت عمر آنفًا ورقته، وحزنه علينا

قال: أطمعت في إسلامه؟

قالت: قلت نعم.

قال: لا يسلم الذي رأيت، حتى يسلم حمار الخطاب.

قالت: يأسًا منه، لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام»[1].

السابع: ما ذكره ابن هشام – رحمه الله تعالى – أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير، يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/ ١٨٧. وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٣/ ٧٩.

ظفر[1]، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد ابن عبد الأشهل، ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطًا من حوائط بني ظفر، قال: على بئر يقال لها: بئر مرق، فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ، وأسيد ابن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبًا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت، كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدمًا، قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته، ثم أقبل إليهما. فلما رآه أسعد بن زرارة، قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه.

قال مصعب: إن يجلس أكلمه، قال: فوقف عليهما متشتمًا.

فقال: ما جاء بكما إلينا، تسفهان ضعفاءنا، اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة.

فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا، قبلته، وإن كرهته، كفّ عنك ما تكره.

---

(١) قال ابن هشام: «واسم ظفر كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس». انظر: السيرة النبوية، أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، ت: طه عبدالرؤوف سعد، ٢/ ٢٨٤، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ط دار الجيل، بيروت.

قال: أنصفت، ثم ركز حربته، وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟

قالا له: تغتسل فتطهر، وتطهر ثوبيك، ثم تصلي، فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلًا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ. ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلًا، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟

قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسًا، وقد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه؛ وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك، قال: فقام سعد مغضبًا مبادرًا تخوفًا للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد أن أسيدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتمًا، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة، ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارينا بما

نكره.

وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: جاءك والله سيد من ورائه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان،

قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه، قبلته، وإن كرهته، عزلنا عنك ما تكره.

قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهله.

ثم قال لهما: وكيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟

قالا: تغتسل، فتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين.

قال: فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامدًا إلى نادي قومه، ومعه أسيد بن حضير.

قال: فلما رآه قومه مقبلًا، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟

قالوا: سيدنا، وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة.

قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة، ورجع أسعد، ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار، إلا وفيها رجال ونساء مسلمون [1].

فهكذا كانت الدعوة بالقرآن الكريم سببًا في إسلام هذين الرجلين، ومن ثم إسلام قومهما جميعًا بإسلامهما.

الثامن: قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- : قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عليَّ». قلت أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: «فإني أحبُّ أن أسمعه من غيري»، فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [2]، قال: «أمسك»، فإذا عيناه تذرفان [3].

فرسول الله ﷺ لم يكتف بالأمر بتلاوة القرآن والدعوة به، بل أمر غيره أن يتلوه عليه؛ وذلك لأن استماع القرآن من الغير أبلغ في التفهم

---

(١) المرجع السابق، ٢/ ٢٨٤-٢٨٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، ٥/ ٢١٣، برقم ٤٥٨٢. وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه، ١/ ٥٥١، برقم ٨٠٠.

والتدبر من قراءته بنفسه [1]، وحتى لا يأنف أحد من تلاوة القرآن عليه، أو يظن البعض أن هناك أناسًا لا يُتلى عليهم القرآن، ويُدعون به، لعلمهم ومنزلتهم الكبيرة في الإيمان والفضل، أو غير ذلك من الأسباب، فهذا رسول الله ﷺ، وهو في المنزلة التي لا تخفى على أحد، يأمر غيره أن يتلو عليه القرآن، فلم يملك نفسه عند سماعه له إلا وذرفت عيناه دموع الخشية والتأثر بكلمات القرآن العظيم، وهذا هو شأن كل مؤمن ينصت للقرآن الكريم، ويستمع له.

التاسع: عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال لأُبي -رضي الله عنه-: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: لم يكن الذين كفروا»، قال: الله سماني لك؟ قال: الله سماك لي، قال: فجعل أبيّ يبكي [2].

يقول الإمام النووي – رحمه الله تعالى –: «وفي الحديث فوائد كثيرة منها: استحباب قراءة القرآن على الحذاق فيه، وأهل العلم به والفضل، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه، ... واختلفوا في الحكمة في قراءته ﷺ، على أبي، والمختار: أن سببها أن تستن الأمة بذلك

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٨٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه، ١/ ٥٥٠، برقم ٧٩٩.

في القراءة على أهل الإتقان والفضل، ويتعلموا آداب القراءة، ولا يأنف أحد من ذلك» (١).

العاشر: عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان -رضي الله عنها- قالت: لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ، واحدًا سنتين، أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾[ق: ١]، إلا عن لسان رسول الله ﷺ، يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر، إذا خطب الناس(٢).

فرسول الله ﷺ، وهو يخطب على المنبر يوم الجمعة، وهي من أعظم أبواب الدعوة وميادينها، يخطب ويدعو الناس بالقرآن الكريم بتلاوة سورة (ق)، وعن سبب اختياره لهذه السورة يقول بعض العلماء - رحمهم الله تعالى -: «إنها مشتملة على البعث والموت، والمواعظ الشديدة، والزواجر الأكيدة» (٣).

الحادي عشر: عن جبير بن مطعم -رضي الله عنه- قال سمعت

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٨٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، برقم ٨٧٣، ٢/ ٥٩٥.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ١٦١. وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، ت: محيي الدين ديب مستو، وزملائه، ٢/ ٥١٢، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، ط دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، دمشق.

النبي ﷺ، يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الطور: ٣٥-٣٧] كاد قلبي أن يطير (١).

ولما لا يطير، فإنه لا عجب من ذلك، فتأثير القرآن الكريم كبير وعظيم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الحشر: ٢١].

وحين أسمع خطبة رسول الله ﷺ، وإذا شهدت جنازة (٢). فهو - رضي الله عنه- يتمنى أن يكون مستمرًا على حال من أحوال ثلاثة، وذكر منها الحال التي يكون فيها عند سماع القرآن؛ وذلك لما تحدثه آيات الله سبحانه وتعالى، في نفسه وقلبه، من سمو الإيمان، وعظيم الأخلاق.

الثالث عشر: عن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ: «أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالعالية، فقام عمر يقول: والله ما مات

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الطور، برقم ٤٨٥٤، ٦/ ٥٨.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ١/ ٨٣.

رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي رجال، وأرجلهم. فجاء أبو بكر، فكشف عن رسول الله ﷺ، فقبله. قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيًا وميتًا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا. ثم خرج فقال: أيها الحالف، على رسلك، فلما تكلم أبو بكر، جلس عمر، فحمد الله أبو بكر، وأثنى عليه. وقال: ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠]. وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فنشج الناس يبكون... قالت -رضي الله عنها-: فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها».

لقد خوف عمر الناس، وإن فيهم لنفاقًا، فردهم الله بذلك، ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى، وعرفهم الحق الذي عليهم، وخرجوا به يتلون ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... ﴾[1].

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ، لو كنت متخذًا خليلًا، الأحاديث: رقم ٣٦٦٧، ورقم ٣٦٦٨، ورقم ٣٦٦٩، ورقم ٣٦٧٠، ٤/ ٢٣٤-٢٣٥.

فأبو بكر -رضي الله عنه- في هذا الموقف العصيب الذي تضيع فيه عقول كثير من الناس، لهول الصدمة وشدتها عليهم، لن ينس أن يستدل بالقرآن على وفاة رسول الله ﷺ، ويدعو الناس إلى الصواب والرضا بما قدَّر الله عليهم؛ فلذا لما سمعوا القرآن الكريم، عادوا إلى صوابهم، وأخذوا يرددون الآيات إيمانًا بها وعملًا بمقتضاها.

الرابع عشر: مات جماعة عند سماعهم للقرآن:

قال السيوطي – رحمه الله تعالى –: «قد مات جماعة عند سماع آيات منه أفردوا بالتصنيف» [1]، وقال الغزالي – رحمه الله تعالى –: «ولقد كان في الخائفين من خرَّ مغشيًا عليه عند آيات الوعيد، ومنهم من مات في سماع الآيات»[2]. وهذا يدل على عظم تأثير القرآن الكريم في بعض الناس.

ولعلي أختم هذا الفصل بكلام جميل للعلامة ابن قيم الجوزية – رحمه الله تعالى – يذكر فيه أهمية الاعتماد على النصوص الشرعية في الدعوة إلى الله تعالى، وإفتاء الناس، ويحذر ممن حاد عن هذا المنهج؛ إذ

---

(١) الإتقان، ٢/ ١٢٣. (لا يعني موت هؤلاء أنهم أكمل إيمانًا ممن لم يموتوا عند سماعه، فرسول الله ﷺ، من أكمل الناس إيمانًا، وصحابته من بعده، ومع ذلك لم يموتوا عند سماعهم للقرآن، ولكن موت هؤلاء لأسباب كثيرة، وبلا شك منها إيمانهم، ومنها عظمة القرآن الكريم، وقوة تأثيره).

(٢) إحياء علوم الدين، ١/ ٢٩٣.

يقول: «ينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ النص، مهما أمكنه، فإنه يتضمن الحكم والدليل، مع البيان التام، فهو حكم مضمون له الصواب، متضمن للدليل عليه في أحسن بيان، وقوله الفقيه المعين ليس كذلك، وقد كان الصحابة والتابعون والأئمة الذين سلكوا على منهاجهم، يتحرون ذلك غاية التحري، حتى خلفت من بعدهم خلوف، رغَّبوا عن النصوص، واشتقوا لهم ألفاظًا غير ألفاظ النصوص، فأوجب ذلك هجر النصوص، ومعلوم أن تلك الألفاظ، لا تفي بما تفي به النصوص من الحكم والدليل، وحسن البيان، فتولد من هجر ألفاظ النصوص، والإقبال على الألفاظ الحادثة، وتعليق الأحكام بها، على الأمة من الفساد، ما لا يعلمه إلا الله، فألفاظ النصوص عصمة، وحجة بريئة من الخطأ والتناقض، والتعقيد والاضطراب، ولما كانت هي عصمة عهدة الصحابة وأصولهم التي إليها يرجعون، كانت علومهم أصح من علوم من بعدهم، وخطؤهم فيما اختلفوا فيه، أقل من خطأ من بعدهم، ثم التابعون بالنسبة إلى من بعدهم كذلك، وهلم جرا، ولما استحكم هجران النصوص عند أكثر أهل الأهواء والبدع، كانت علومهم في مسائلهم وأدلتهم، في غاية الفساد والاضطراب والتناقض، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سئلوا عن مسألة، يقولون: قال الله كذا، قال رسول الله ﷺ كذا، أو فعل رسول الله كذا، ولا يعدلون عن ذلك ما

وجدوا إليه سبيلًا قط، فمن تأمل أجوبتهم وجدها شفاء لما في الصدور، فلما طال العهد، وبعد الناس من نور النبوة، صار هذا عيبًا عند المتأخرين أن يذكروا في أصول دينهم وفروعه: قال الله، وقال رسول الله، أما أصول دينهم، فصرحوا في كتبهم: أن قول الله ورسوله لا يفيد اليقين في مسائل أصول الدين، وإنما يحتج بكلام الله ورسوله فيها، الحشوية، والمجسمة، والمشبهة، وأما فروعهم فقنعوا بتقليد من اختصر لهم بعض المختصرات، التي لا يُذكر فيها نص عن الله، ولا عن رسول الله ﷺ- إلى أن قال - والمقصود أن العصمة مضمونة في ألفاظ النصوص ومعانيها، في أتم بيان، وأحسن تفسير، ومن رام إدراك الهدى، ودين الحق، من غير مشكاتها فهو عليه عسير غير يسير»[1].

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بـابن قـيم الجوزيـة، ت: محمد محي الدين عبدالحميد، ٤/ ١٧٠-١٧٢، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ، ط دار الفكر، بيروت.

الفصل الثالث

أثر القرآن الكريم في استجابة بعض المعاصرين وأقوالهم فيه

لقد استمر إعجاز القرآن الكريم بظهور تأثيره العجيب في قلوب الناس جيلًا بعد جيل، ومن شخص لآخر، إلى أن وصلنا إلى العصر الحاضر الذي ظهرت فيه صور كثيرة، وجوانب متعددة من إعجازه العظيم، وقوة تأثيره في النفوس التي تسمع له، أو تتأمل في معانيه وأحكامه ومراميه، فسجلت بإنصاف شهاداتها ومشاعرها وأحاسيسها تجاه القرآن الكريم الذي هو كلام الله العظيم.

هذا وإن إعجاز القرآن الكريم أكبر من أن يحيط به أهل عصر، وأعظم من أن يستوعبه جيل من الأجيال، فلئن أشرف الجيل الأول على قبس من إعجازه، إلى أن وصل إلينا في العصر الحاضر مرورًا بأجيال كثيرة، فإن الأجيال من بعد ستنهل من معينه الذي لا ينضب، ومن وجوه الإعجاز فيه التي تتجدد ولا تنفد.

ولهذه الأهمية الكبيرة لكتاب الله سبحانه وتعالى، وأثره العظيم في انتشار الدعوة بين الناس قديمًا وحديثًا، ظهر لي أهمية هذا الفصل الذي

يبين أقوال وشهادات بعض المعاصرين من المسلمين وغيرهم، على أثر كتاب الله -عز وجل- عليهم وعلى الآخرين.

أما فيما يتعلق بغير المسلمين فأقول: إن الناظر في العقل المعاصر غير المسلم عمومًا، والغربي على وجه الخصوص، يجد أنه يقف إزاء الإسلام على نقطة التوازن بين الشدِّ والجذب، في اتجاهين متناقضين:

الاتجاه الأول: يغلب عليه النزعة العلمية الموضوعية التي تحاول أن تتجرد عن الهوى، وأن تكون حيادية في الرأي والنتيجة.

الاتجاه الآخر: يغلب عليه النزعة التحزبية، وكل ما يرتبط بها، أو يوازيها من إحساس استعلائي تجاه كل ما هو شرقي، ورغبة في تدمير الشرقيين بأنفسهم... إلى آخر ما يمكن أن يوصف به أصحاب هذا الاتجاه.

وهناك بعض من غير المسلمين ممن يقدر على تخليص نفسه من أسر هذا الاتجاه، فيميل إلى معالجة ما يتعلق بالإسلام معالجة موضوعية، ويقترب من الحقيقة، على حين قد يندفع بعضهم في اتجاه القطب المعاكس، فيقف موقفًا مضادًا يتأرجح بين السباب والشتيمة، وبين الحكم المنحاز المغطى من الخارج برداء العلمية، وما هو منها بشيء.

وتبقى سائر المواقف الأخرى، كالموجب والسالب، متحركة على

طرفي (النقطة) قربًا أو بعدًا.

إن ما قدمه بعض علماء غير المسلمين عامة، والمستشرقين منهم على وجه الخصوص، يتضمن الأبيض والأسود، وبعضهم يتضمن كلامه الأسود والأبيض معًا؛ وذلك لأسباب عديدة منها قوة الجذب التي أشرنا إليها، ومنها الجهل ببعض المسائل، ومنها التأثيرات الذاتية والثقافية... إلى آخره.

وقبل أن أسوق شيئًا من شهادات أصحاب الاتجاه الأول – الذي يعنينا في هذا البحث – وأقوالهم، أؤكد نقطة مهمة، وهي: أن بعض أقوالهم وشهاداتهم في الإسلام لا تعدو كونها تأكيدًا لحقائق معينة في نسيج ديننا وحضارتنا، تارة بالترجمة الحرفية لنصوص الوقائع المستمدة من المصادر الإسلامية نفسها، وتارة أخرى بتركيز هذه النصوص، أو التوسع فيها مع المحافظة على جوهرها الأصيل. وهذا التأكد أو النقل يمثل بحد ذاته اعترافًا ضمنيًا، أو مكشوفًا بقيم الدين الإسلامي وحضارته الزاهرة.

إذًا فهو يحمل أهميته كشهادة، خاصة إذا ما تذكرنا السيل الآخر المضاد لهذا الاتجاه من المعطيات غير الإسلامية التي استهدفت

التشكيك بصحة هذه الوقائع، والافتراء عليها [1].

هذا وإن من الأقوال والشهادات التي سنسوقها بإذن الله تعالى في هذا الفصل، منها ما ينسب إلى بعض العلماء المسلمين المعاصرين، ومنها ما ينسب إلى أشخاص وعلماء دخلوا في دين الله سبحانه وتعالى، قالوا كلمتهم في جانب من جوانب الإسلام، قبل انتمائهم له؛ إذ إن هذه الشهادات تمثل سياقًا يحمل أهميته البالغة فيما نحن بصدده؛ لأنها تجيء بمثابة الدافع للإسلام، والشهادة في الوقت نفسه على ما تضمنه القرآن الكريم من قيم ومزايا لا توجد في المذاهب والعقائد الأخرى.

إن هذا الانتماء ليعدّ بحد ذاته شهادة واقعية على صدق هذا الدين، وإعجاز كتابه القرآن الكريم، في تعامله مع الإنسان المتحضر بالحضارة المادية، وقدرته على الكسب والانتشار.

وفي هذا الفصل سأذكر بمشيئة الله سبحانه وتعالى أمثلة توضح المقصود، وتحقق الهدف المنشود، وهي على النحو الآتي:

١ - أثر سماع تلاوة سورة النجم في سيد قطب - رحمه الله تعالى -:

إن القرآن الكريم له تأثير عجيب في نفوس سامعيه، وقد أدرك هذا السر سيد قطب - رحمه الله تعالى - فقال: إن في القرآن سرًا خاصًا

(١) انظر: قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، ص١١-٢٢، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ط الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.

يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيه، إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أن هنالك شيئًا ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، وأن هنالك عنصرًا ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن، يدركه بعض الناس واضحًا، ويدركه بعض الناس غامضًا، ولكنه على كل حال موجود، هذا العنصر الذي ينسكب في الحس، يصعب تحديد مصدره، أو العبارة ذاتها؟ أهو المعنى الكامن فيها؟ أهو الصور والظلال التي تشعها؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة؟ أهي هذه العناصر كلها مجتمعة؟ أم أنها هي وشيء آخر وراءها غير محدد؟.

ذلك السر مودع في كل نص قرآني، يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداءً، ثم تأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله [1].

ثم ذكر سيد قطب – رحمه الله تعالى – قصة مع سورة النجم، وذلك حين تساءل عن سبب سجود المشركين عند سماعهم لقوله تعالى: ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾[النجم: ٦٢]، وأجاب عن ذلك

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٤٢٠.

فقال: لقد بقيت فترة أبحث عن السبب الممكن لهذا السجود، ويخطر لي احتمال أنه لم يقع، وإنما هي رواية ذكرت لتعليل عودة المهاجرين من الحبشة، بعد نحو شهرين أو ثلاثة، وهو أمر يحتاج إلى التعليل.

قال: وبينما أنا كذلك وقعت لي تلك التجربة الشعورية الخاصة التي أشرنا إليها من قبل.

ثم قال: كنت بين رفقة نسمر حينما طرق أسماعنا صوت قارئ للقرآن من قريب، يتلو سورة النجم، فانقطع بيننا الحديث، لنستمع وننصت للقرآن الكريم، وكان صوت القارئ مؤثرًا، وهو يرتل القرآن ترتيلًا حسنًا.

وشيئًا فشيئًا عشت معه فيما يتلوه، عشت مع محمد ﷺ في رحلته إلى الملأ الأعلى كما تصورها الآيات القرآنية، عشت معه وهو يشهد جبريل – عليه السلام – في صورته الملائكية التي خلقه الله عليها، ذلك الحادث العجيب المدهش حين يتدبره الإنسان، ويحاول تخيله. وعشت معه في رحلته العلوية الطليقة عند سدرة المنتهى، وجنة المأوى، عشت معه بقدر ما يسعفني خيالي، وتلحق بي رؤاي، وبقدر ما تطيق مشاعري وأحاسيسي.. – إلى أن قال – واستمعت إلى صوت النذير الأخير، قبل الكارثة الداهمة:

﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ

كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾[النجم: ٥٦-٥٨]. ثم جاءت الصيحة الأخيرة.. واهتز كياني كله أمام التبكيت الرعيب: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[النجم: ٥٩-٦١].

فلما سمعت قوله تعالى: ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾ ﴾[النجم: ٦٢]. كانت الرجفة قد سرت من قلبي حقًا إلى أوصالي، واستحالت رجفة عضلية مادية، ذات مظهر مادي، لم أملك مقاومته فظل جسمي كله يختلج، ولا أتمالك أأثبته، ولا أن أكفكف دموعًا هاتنة، لا أملك احتباسها مع الجهد والمحاولة.

وأدركت في هذه اللحظة أن حادث السجود صحيح [1]، وأن تعليله قريب، إنه كامن في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن، ولهذه الإيقاعات المزلزلة في سياق هذه السورة، ولم تكن هذه أول مرة أقرأ فيها سورة النجم، أو أسمعها، ولكنها في هذه المرة كان لها هذا الوقع، وكانت مني هذه الاستجابة، وذلك سر القرآن، فهناك لحظات خاصة موعودة غير مرقوبة تمس الآية أو السورة فيها موضع الاستجابة، وتقع اللمسة التي تصل القلب بمصدر القوة فيها موضع الاستجابة، وتقع

(١) تصحيح الأحاديث لا يكون بهذه الطريقة، ولعل مقصود د. سيد قطب -رحمه الله- هو طرد الوساوس والأفكار التي كانت تأتيه عند سماع هذه القصة الصحيحة.

اللمسة التي تصل القلب بمصدر القوة فيها والتأثير، فيكون منها ما يكون.

وتأثير القرآن هذا بلغ مبلغًا خرق به العادة المعهودة من تأثير الكلام في النفوس، واستيلائه على قلوب المخاطبين استيلاءً كالقهر وما هو بالقهر، وفعله في قلوبهم كالسحر وما هو بالسحر، لا يختص ذلك بالأنصار دون الخصوم، ولا بمحالفيه دون مخالفيه، بل يغزو القلب من حيث لا يمكن لصاحبه رد، ويؤثر فيه من حيث لا يمكن له دفع.

٢- يقول الشيخ/ عبدالحميد بن باديس – رحمه الله تعالى –:

«فوالله الذي لا إله إلا هو، ما رأيت – وأنا ذو النفس الملأى بالذنوب والعيوب – أعظم إلانة للقلب، واستدرارًا للدمع، وإحضارًا للخشية، وأبعث على التوبة، من تلاوة القرآن وسماع القرآن»[١].

وحُقَّ له أن يقسم، وهو العالم الذي ارتبط بالقرآن، وتفسيره، والدعوة إليه في بلاد الجزائر؛ إذ إنه اشتغل في تدريس القرآن الكريم وتفسيره ما يقارب الأربعة عشر عامًا[٢].

---

(١) تفسير ابن باديس، عبدالحميد بن باديس، ص٥٠، ط مؤسسة المعارف للنشر والطبع، الجزائر.

(٢) انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ٣/ ٢٨٩، الطبعة السابعة ١٤٠٦هـ، ط دار العلم للملايين، بيروت.

٣- أحد القساوسة المنصرين اسمه: إبراهيم خليل أحمد [١]:

فبعد تعمقه في دراسة الإسلام، وخاصة القرآن الكريم، أعلن إسلامه وأشهره رسميًا عام ١٣٨٠ هـ. قال عن القرآن الكريم:

«يرتبط هذا النبي ﷺ بإعجاز أبد الدهر، وذلك أنه يخبرنا بأمور آتية، هذا الإعجاز هو القرآن الكريم، معجزة الرسول الباقية ما بقي الزمان، فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه: من طب، وفلك، وجغرافيا، وجيولوجيا، وقانون، واجتماع، وتاريخ...، ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف» [٢].

وقال في موضع آخر: «أعتقد يقينًا أني لو كنت إنسانًا وجوديًا، أي لا يؤمن بوجود خالق لهذا الكون، ولا برسالة من الرسالة السماوية،

---

(١) إبراهيم خليل أحمد: قس منصر من مواليد الإسكندرية، يحمل شهادات عالية في علم اللاهوت، من كلية اللاهوت المصرية، ومن جامعة برنستون الأمريكية، عمل أستاذًا بكلية اللاهوت بأسيوط، أرسل عام ١٩٥٤م إلى أسوان سكرتيرًا عامًا للإرسالية الألمانية السويسرية، وكانت مهتمة الحقيقية التنصير والعمل ضد الإسلام. لكن تعمقه في دراسة الإسلام قاده إلى الإيمان بهذا الدين، وأشهر إسلامه رسميًا عام ١٣٨٠ هـ. كتب العديد من المؤلفات، أبرزها: (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن)، وكتاب (تاريخ بني إسرائيل).

انظر: ترجمته في كتاب: قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، ص٤٩.

(٢) نقلًا عن: المرجع السابق، ص٤٩.

وجاءني نفر من الناس وحدثني بما سبق به القرآن العلم الحديث في كل مناحيه لآمنت برب العزة والجبروت، خالق السماوات والأرض، ولن أشرك به أحدًا...»[1].

فهذه الشهادة والأقوال السابقة من هذا الرجل الذي كان من القساوسة المنصرين، تعد بحق شهادة إنصاف خرجت من رجل كان لا ينتسب إلى الإسلام، فقالها عندما درس القرآن الكريم بموضوعية تامة، وحياد يريد منه أن يصل إلى الحق، وأن يحذر من الباطل والزيغ والفساد، فوجد أن القرآن الكريم سبق العلم المعاصر الذي يملك من الإمكانات والأجهزة والوسائل الشيء العظيم، مما لم يكن موجودًا، أو معروفًا حين نزول القرآن الكريم على محمد ﷺ قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، فمثلًا إذا تحدث الأطباء عن بعض النظريات الدقيقة التي تصور خلق الإنسان في بطن أمه، وجدوا أن القرآن سبقهم إلى ذلك قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، وإذا تكلم علماء الفلك عن طبقات الجو وما فيه من خصائص، وجدوا أن القرآن الكريم سبقهم إلى ذلك، وإذا تكلم علماء البحار عن طبقات الموج وخصائص البحار، وجدوا أن القرآن سبقهم إلى ذلك، وهكذا في كثير من الفنون التي قيلت فيها نظريات قاطعة، وجدوا أن القرآن الكريم سبقهم إليها بالتصريح، أو

(١) نقلًا عن: المرجع السابق، ص٤٩.

الإشارة والتلميح.

وهذا هو ما دفع هذا القس إلى أن يعلن إسلامه، فإعجاز القرآن الكريم باقٍ ما بقي الزمان، يتجدد بتجدد العلوم وما يكتشف فيها.

وهنا أختم الحديث عن هذا القس السابق، بقول له يحتاج منا إلى التأمل والإمعان والتفكير، وخاصة من الذين يعيشون شيئًا من الهزيمة النفسية تجاه الأمم التي سبقتنا في العلوم المادية، إذ يقول: «للمسلم أن يعتزَّ بقرآنه، فهو كالماء فيه حياة لكل من نهل منه» (١).

٤- لقد أثر القرآن في بعض الأعاجم الذين لا يحسنون العربية تأثيرًا كبيرًا، دفع بعضهم إلى أن يعلن إسلامه، ويذكر الأثر الذي أحدثه القرآن فيه، ومن هؤلاء الذين أثَّر فيهم القرآن الكريم: المستشرق الفرنسي «إيتين دينيه» (٢)، الذي أعلن إسلامه وقال: «إن معجزة

---

(١) نقلًا عن: المرجع السابق، ص٤٩.

(٢) إيتين دينيه (١٨٦١-١٩٢٩م) تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر، فكان يقضي في بلدة «بو سعادة» نصف السنة من كل عام، وأشهر إسلامه، وتسمى بناصر الدين، وذلك عام ١٩٢٧م، وحج إلى بيت الله الحرام عام ١٩٢٨م، من آثاره العلمية: كتاب (محمد في السيرة النبوية)، ألفه بمعاونة سليمان بن إبراهيم، وله كتاب بالفرنسية بعنوان (حياة العرب)، و(حياة الصحراء)، و(أشعة خاصة بنور الإسلام)، و(الشرق في نظر الغرب)، و(الحج إلى بيت الله الحرام). انظر ترجمته في: الإسلام في العقل العالمي، د. توفيق يوسف الواعي، ص١٩٧-١٩٨، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ط دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر. وقالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، ص٦٣.

الأنبياء الذين سبقوا محمدًا ﷺ كانت في الواقع معجزات وقتية، ومن ثم معرضة للنسيان السريع. بينما نستطيع أن نسمي معجزة الآيات القرآنية: المعجزة الخالدة. وذلك أن تأثيرها دائم، ومفعولها مستمر، ومن اليسير على المؤمن في كل زمان، وفي كل مكان، أن يرى هذه المعجزة بمجرد التلاوة في كتاب الله، وفي هذه المعجزة نجد التعليل الشافي للانتشار الهائل الذي أحرزه الإسلام، ذلك الانتشار الذي لا يدرك سببه الأوربيون؛ لأنهم يجهلون القرآن، أو لأنهم لا يعرفونه إلا من خلال ترجمات لا تنبض بالحياة، فضلًا عن أنها غير دقيقة»[1].

وقال في موضع آخر: «إن كان سِحرُ أسلوب القرآن وجمال معانيه يحدث مثل هذا التأثير في علماء لا يمتون إلى العرب، ولا إلى المسلمين بصلة، فماذا ترى أن يكون من قوة الحماسة التي تستهوي عرب الحجاز؟ وهم الذين نزلت الآيات بلغتهم الجميلة... لقد كانوا عند سماعهم للقرآن تمتلك نفوسهم انفعالات هائلة مباغتة، فيظلون في مكانهم وكأنهم قد سُمِّروا فيه. أهذه الآيات الخارقة تأتي من محمد ﷺ ذلك الأمي الذي لم ينل حظًا من المعرفة؟ كلا إن هذا القرآن لمستحيل أن يصدر عن محمد ﷺ، وأنه لا مناص من الاعتراف بأن الله العلي

(١) نقلًا عن: المرجع السابق، ص٦٣-٦٤. وانظر: الإسلام في العقل العالمي، د. توفيق يوسف الواعي، ص ١٩٧-١٩٨.

القدير هو الذي أوحى تلك الآيات...» [١].

٥- ومن الأمثلة التي تدل على أثر القرآن الكريم في نفوس مستمعيه: ما ذكره العالم الإنجليزي «وليم بيرشلبيكارد» [٢]. بقوله: «ابتعت نسخة من ترجمة سافاري لمعاني القرآن الكريم، وهي أغلى ما أملك، فلقيت من مطالعتها أعظم متعة، وابتهجت بها كثيرًا حتى غدوت وكأن شعاع الحقيقة قد أشرق عليَّ بنوره المبارك». فلذا أعلن إسلامه، ودخل في دين الله العظيم، وهذا فقط من قراءة ترجمة لمعاني القرآن الكريم، فكيف بمن يقرأ القرآن الكريم وهو يعرف لفظه، ويدرك معناه.

٦- ويقول الباحث الفرنسي «جاك ريسلر» [٣]: «لما كانت روعة القرآن في أسلوبه، فقد أنزل ليقرأ ويتلى بصوت عال، ولا تستطيع أية ترجمة أن تعبر عن فروقه الدقيقة المشبعة بالحساسية. ويجب أن تقرأه في

---

(١) نقلًا عن: قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، ص٦٤.

(٢) وليم بيرشل بشير بيكارد: إنكليزي، تخرج في أعرق الكنائس النصرانية في بريطانيا، كانتربوري، مؤلف وكاتب مشهور في بلاده، من بين مؤلفاته الأدبية بالإنكليزية: (مغامرات القاسم)، و(عالم جديد). شارك في الحرب العالمية الأولى وأسر، عمل فترة من الوقت في أوغندا، أعلن إسلامه عام ١٣٤٢هـ. انظر: قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، ٥٧.

(٣) جاك. س. ريسلر، باحث فرنسي، وأستاذ بالمعهد الإسلامي ببارس، من مؤلفاته: (الحضارة العربية). انظر: ترجمته: قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، ص٦٦.

لغته التي كتب بها، لتتمكن من تذوق جمله، وقوته، وسمو صياغته، ويخلق نثره الصوتي، وألفاظه سحرًا مؤثرًا في النفس، حيث تزخر الأفكار قوة، وتتوهج الصور نضارة، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن سلطانه القوي، وسموه الروحي، يسهمان في إشعارنا بأن محمدًا ﷺ كان ملهمًا بجلال الله وعظمته»[1]. وبلا شك: لا تستطيع أية ترجمة أن تصل إلى ما في القرآن الكريم من إعجاز، وقوة تأثير، وهذا هو سرّ القرآن، وإعجازه.

٧- وهذا السرّ هو الذي دفع مثل الباحثة الإيطالية «لورا فيشيا فاغليري» [2] إلى أن تقول عن القرآن العظيم: «إن معجزة الإسلام العظمى هي القرآن الذي تنقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة من خلال أنباء تتصف بيقين مطلق أنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته، إن كلًا من تعبيراته شاملٌ جامع، ومع ذلك فهو ذو حجم مناسب، ليس بالطويل أكثر مما ينبغي، وليس بالقصير أكثر مما ينبغي، أما أسلوبه،

---

(١) نقلًا عن: المرجع السابق، ص٦٦.

(٢) لورافيشيافاغليري، باحثة إيطالية معاصرة، انصرفت إلى دراسة التاريخ الإسلامي قديمًا وحديثًا، وفقه اللغة العربية وآدابها، من آثارها: (قواعد العربية)، و(الإسلام)، و(دفاع عن الإسلام)، والعديد من الدراسات في المجلات الاستشراقية المعروفة. انظر الترجمة في: قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، ص٧٥.

فأصيل فريد، وليس ثمة أيما نمط لهذا الأسلوب في الأدب العربي، تحدر إلينا من العصور التي سبقته، والأثر الذي يحدثه في النفس البشرية إنما يتمُّ من غير أيما عونٍ عرضي، أو إضافي من خلال سموه السليقي، إن آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة، حتى عندما تعالج موضوعات لا بد أن تؤثر في نفسها وجرسها، كموضوع: الوصايا والنواهي وما إليها، إنه يكرر قصص الأنبياء -عليهم السلام- ، وأوصاف بدء العالم ونهايته، وصفات الله وتفسيرها، ولكن يكررها على نحو مثير إلى درجة لا تضعف من أثرها، وهو ينتقل من موضوع إلى موضوع، من غير أن يفقد قوته، إننا نقع هنا على العمق والعذوبة معًا، وهما صفتان لا تجتمعان عادة، حيث تجد كل صورة بلاغية تطبيقًا كاملًا، فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد ﷺ، وهو العربي الأمي، الذي لم ينظم طوال حياته غير بيتين، أو ثلاث أبيات، لا ينمُّ أيٌّ منها عن أدنى موهبةٍ شعرية» (١).

فلذا كان القول الفصل في التسمية لبعض الكتب التي تنقل القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، أنها تسمى: (ترجمة معاني القرآن الكريم)، وأن من يسميها: (ترجمة للقرآن الكريم)، تعد تسمية خاطئة؛ وذلك أنه لا يستطيع، ولا يمكن لأحد أن يأتي بمثل القرآن الكريم

(١) نقلًا عن: المرجع السابق، ص٧٥.

بلغة أخرى، وذلك مثل أنه لا يمكن أن يؤتى بمثله في اللغة العربية.

٨- يقول الإمام الزركشي – رحمه الله تعالى –: «لا تجوز ترجمة القرآن بالفارسية وغيرها، بل تحب قراءته على هيئته التي يتعلق بها الإعجاز، لتقصير الترجمة عنه، ولتقصير غيره من الألسن عن البيان الذي خُصَّ به دون سائر الكتب – إلى أن قال –: وإذا لم تجز قراءته بالتفسير العربي المتحدى بنظمه، فأحرى أن لا تجوز بالترجمة بلسان غيره»(١).

وقال محب الله بن عبدالشكور – رحمه الله تعالى –: «اعلم أن القرآن عندنا: اسم لكل من النظم المعجز، والمعنى المستفاد، أما المعنى المستفاد فليس بقرآن» (٢).

ولعلي هنا أنبه إلى أن ترجمة القرآن الكريم، تختلف عن ترجمة معانيه، وأن المنع خاص بترجمة القرآن الكريم فقط.

٩- وهذا المعنى الذي أدركه علماء المسلمين أيضًا أدركه غيرهم من غير المسلمين، كالمستشرق الإنجليزي الدكتور/ «هاملتون

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، ت: محمد بن عبدالرزاق الدويش ٣/ ١٠٢٨، (رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة).

(٢) مُسلم الثبوت في أصول الفقه، محب الله بن عبدالشكور، ٢/ ٨، المطبوع حاشية لكتاب المستصفى، للغزالي، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار الفكر بيروت.

الكاسندر روسكين«جب» [1]، حيث قال: «إننا نخطئ خطأً فاحشًا إذا اقتصرنا على النظر إلى هذه العقيدة – يعني الإسلام – على أنها مذهب لاهوتي، أتقن بشكل وراثي من جيل إلى جيل منذ ألف وثلاثمائة سنة، إنها على العكس من ذلك، إنها يقين وإيمان حي، يتجدد ويتأكد باستمرار في قلوب المسلمين وأرواحهم وأفكارهم، ولدى العربي بشكل خاص حين يدرس النص المقدس؛ لذا عارض أصحاب المذهب السني بشكل عام ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الإسلامية الأخرى، على الرغم من أن النص العربي يظهر في بعض الأحيان مقترنًا بترجمة تركية، أو فارسية، أو أوردية، وغيرها من اللغات.

إن هذا الموقف يستند إلى محاكمة شرعية متماسكة تصوغ حججها إلى حدٍّ ما بشكل عقلاني، مستندة في ذلك إلى اعتبارات عديدة.

والواقع أن القرآن لا يمكن ترجمته بشكل أساس كما هي الحال بالنسبة للشعر الرفيع؛ إذ ليس بالإمكان التعبير عن مكنون القرآن

---

(١) سير هاملتون الكساندر روسكين جب، يعد إمام المستشرقين الإنكليز المعاصرين، أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن، وجامعة أكسفورد، وأحد محرري دائرة المعارف الإسلامية، وعضو مؤسس في المجمع العلمي المصري. من آثاره: (دراسات في الآداب العصرية)، و(الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى، وعلاقتها ببلاد الصين)، (ورحلات ابن بطوطة)، و(اتجاهات الإسلام المعاصرة). انظر ترجمته في: قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، ص٧٩.

باللغة العادية، ولا يمكن أن يعبر عن صوره وأمثاله؛ لأن كل عطف، أو مجاز، أو براعة لغوية، يجب أن تدرس طويلًا قبل أن ينبثق المعنى للقارئ، والقرآن كذلك له حلاوة وطلاوة، ونظم بديع مرتب لا يمكن تحديده؛ لأن إدراكه يختلف من شخص لآخر بحسب إصغاء الشخص ورغبته في تلقي تعاليمه، ولا شك أن تأويل كلمات القرآن إلى لغة أخرى لا يمكن إلا أن يشوهها، ويحول الذهب النقي إلى فخار...»[1].

١٠- هذا وقد ذكر الدكتور/ محمد عبد الله دراز - رحمه الله تعالى - في كتابه النبأ العظيم وصفًا دقيقًا وجميلًا لهذا الجانب المعجز من كتاب الله سبحانه وتعالى الذي لا يمكن أن يوجد في أية ترجمة للقرآن الكريم، فقال: «إن أول ما يلاقيك ويستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره - إلى أن قال-:

دع القارئ المجوِّد يقرأ القرآن، يرتله حقّ ترتيله، نازلًا بنفسه على هوى القرآن، وليس نازلًا بالقرآن على هوى نفسه، ثم انتبذ منه مكانًا قصيًا، لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغُنَّاتها، واتصالاتها وسكتاتها، ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية وقد جردت تجريدًا، وأرسلت ساذجة في الهواء،

(١) نقلًا عن: المرجع السابق، ص٨٠-٨١.

فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب عجيب، لا تجده في كلام آخر لو جُرد هذا التجريد، وجُود هذا التجويد.

ستجد اتساقًا وائتلافًا يسترعي من سمعك ما يسترعيه الشعر والنثر الجميل على أنه ليس كأنغام الموسيقى، ولا بأوزان الشعر، وستجد شيئًا آخر لا تجده في الموسيقى ولا في الشعر، ذلك أنك تسمع القصيدة من الشعر، فإذا هي تتحد الأوزان فيها بيتًا بيتًا، وشطرًا شطرًا، وتسمع القطعة من الموسيقى، فإذا هي تتشابه أهواؤها، وتذهب مذهبًا متقاربًا، فلا يلبث سمعك أن يمجها، وطبعك أن يملها، إذا أعيدت وكررت عليك بتوقيع واحد. بينما أنت من القرآن أبدًا في لحن متنوع متجدد، تنتقل فيه بين أسباب وأوتاد، وفواصل على أوضاع مختلفة، يأخذ منها كل وتر من أوتار قلبك بنصيب سواء. فلا يعروك منه على كثرة ترداده ملالة ولا سأم، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد.

هذا الجمال التوقيعي في لغة القرآن، لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن، حتى الذين لا يعرفون لغة العرب. فكيف يخفى على العرب أنفسهم؟ وترى الناس قد يتساءلون: لماذا كانت العرب إذا اختصمت في القرآن قارنت بينه وبين الشعر نفيًا وإثباتًا، ولم تعرض لسائر كلامها من الخطابة وغيرها؟ وأنت هل تبينت ههنا الجواب، وهديت إلى السر الذي فطنت له العرب، ولم يفطن له المستعربون؟

إن أوّل شيء أحسَّتهُ تلك الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قُسِّمت فيه الحركة والسكون، تقسيمًا منوعًا، يجدد نشاط السامع لسماعه، ووزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة، توزيعًا بالقسط يساعد على ترجيع الصوت به، وتهادي النفس فيه آنًا بعد آن، إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى، فيجد عندها راحته العظمى، وهذا النحو من التنظيم الصوتي إن كانت العرب قد عمدت إلى شيء منه في أشعارها، فذهبت فيها إلى حدِّ الإسراف في الاستهواء، ثم إلى حدِّ الإملال في التكرير، فإنها ما كانت تعهده قط، ولا كان يتهيأ لها بتلك السهولة في منثور كلامها، سواء منه المرسل والمسجوع، بل كان يقع لها في أجود نثرها عيوبٌ تغض من سلاسة تركيبه، ولا يمكن معها إجادة ترتيله، إلا بإدخال شيء عليه، أو حذف شيء منه.

إلى أن قال: فإذا ما اقتربت بأذنك قليلًا قليلًا، فطرقت سمعك جواهر حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة، فاجأتك منه لذة أخرى في نظم تلك الحروف ورصفها، وترتيب أوضاعها فيما بينها: هذا ينقر، وذاك يصفر، وثالث يهمس، ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النفس، وآخر يحتبس عنده النفس، وهلمّ جرًّا، فترى المجال اللغوي ماثلًا أمامك في مجموعة مختلفة مؤتلفة، لا كركرة ولا ثرثرة، ولا رخاوة ولا معاظلة، ولا تناكر ولا تنافر، وهكذا ترى كلامًا ليس بالحضري الفاتر،

ولا بالبدوي الخشن، بل تراه وقد امتزجت فيه جزالة البادية وفخامتها، برقة الحاضرة وسلاستها، وقدر فيه الأمران تقديرًا لا يبغي بعضهما على بعض، فإذا مزيجٌ منهما كأنما هو عصارة اللغتين وسلالتهما، أو كأنما هو نقطة الاتصال بين القبائل، عندها تلتقي أذواقهم، وعليها تأتلف قلوبهم» [1].

١١- أما الدكتور/ أحمد نسيم سوسة [2] الذي كان يهوديًا قبل أن يسلم، فيقول: «يرجع ميلي إلى الإسلام حينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى فولعت به ولعًا شديدًا... وكنت أطرب لتلاوة آياته...» [3].

وصدق القائل سبحانه وتعالى:

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ

(١) النبأ العظيم، د. محمد عبدالله دراز، ص١٠١-١٠٦، الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ، ط دار القلم، الكويت.

(٢) الدكتور/ أحمد نسيم سوسة، باحث ومهندس من العراق، وعضو في المجمع العلمي العراقي، وأحد أبرز المختصين بتاريخ الري في العراق، كان يهوديًا فاعتنق الإسلام متأثرًا بالقرآن الكريم، توفي قبل سنوات قلائل. ترك الكثير من الدراسات في مختلف المجالات، وخاصة في تاريخ الري، وفنّد في عدد منها ادعاءات الصهيونية العالمية من الناحية التاريخية، ومن مؤلفاته الشهيرة: (مفصل العرب واليهود في التاريخ)، (وفي طريقي إلى الإسلام)، انظر ترجمته في: قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، طريقي إلى الإسلام)، انظر ترجمته في: قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، ص٧٠.

(٣) نقلًا عن: المرجع السابق، ص٧٠.

يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٣].

١٢- وأيضًا نسمع لقول شخصٍ آخر اسمه: «موريس بوكاي»[١]. طبيب وعالم فرنسي، أجرى دراسة مقارنة في الكتب السماوية المعروفة: (القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل) وبعد دراسة عميقة وأصيلة، توصل إلى قناعة بأن القرآن العظيم هو كلام الله سبحانه وتعالى، ومن ثم صدق الدين الذي جاء به، فأعلن إسلامه، وأخرج كتابًا أسماه: (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)، يقول فيه: «لقد قمت أولًا بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثًا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث، وكنت قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات أن القرآن يذكر أنواعًا كثيرة من الظواهر الطبيعية، ولكن معرفتي كانت وجيزة، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث، وبالموضوعية نفسها، قمت

(١) د. موريس بوكاي، طبيب وعالم فرنسي- معروف، زار الجزائر مرات عديدة لحضور ملتقى الفكر الإسلامي السنوي، من أشهر كتبه: (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم). (انظر ترجمته في: قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، ص٥٦).

بالفحص نفسه على العهد القديم والأناجيل، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخًا في عصرنا، وأما بالنسبة للأناجيل فإننا نجد نص إنجيل «متى» يناقض بشكل جلي إنجيل «لوقا»، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمرًا لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض» (١).

إذًا فلا عجب ممن يقول مثل هذا الكلام أن يؤمن بما صدق به عقله، ولما رأى فيه من المعجزات الباهرات، وهو القرآن الكريم، وأيضًا لا عجب عندما نرى في الغرب والشرق من غير المسلمين الذين لا يؤمنون بأديانهم وكتبهم المقدسة؛ وذلك لما فيها من الخرافات والأباطيل التي يرفضها العلم المعاصر.

فلذا قال في موضع آخر: «لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع، ومطابقته تمامًا للمعارف العلمية الحديثة.. والتي لا

(١) انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة حسن خالد، ص٢٠-٢١، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت.

يمكن لإنسان في عصر محمد ﷺ أن تكون له عنها أي فكرة، فحملني ذلك على التساؤل: إذا كان كاتب القرآن بشرًا، فكيف أمكنة في القرن السابع الميلادي كتابة ما يثبت أنه اليوم متفق مع المعارف العلمية الحديثة؟ وأيضًا ليس لدينا ثمة شك في أن النص الذي بين أيدينا للقرآن هو نص ذلك العصر، فما هو التفسير الإنساني لهذه الملاحظة؟»[1].

نعم نقول جميعًا: إن التفسير الإنساني لهذه الملاحظة، هو أنه لا يمكن لإنسان – كان في بداية أمره أميًا – أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي، لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يكونها، أو يعرفها، فيكون الجواب أن هذا النص هو كلام الله سبحانه وتعالى، الذي خلق السماوات والأرض، وخلق كل شيء، وهو الذي أخبرنا وعلمنا ما نجهل، وما هو غائب عنا.

ولقد صدق الله سبحانه وتعالى، القائل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]، والقائل -عز وجل-: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ [النمل: ٦].

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٤٧-١٤٩.

١٣- وهناك مثال آخر لتأثير القرآن العظيم في نفوس بعض الغربيين الذين حازوا الشهرة والمال وجميع متع هذه الدنيا الزائلة حتى ظن أنه من أسعد الناس إلى أن سمع القرآن الكريم فعلم أنه لم يعرف للسعادة طعمًا في مقابل السعادة واللذة التي شعر بها عند سماعه للقرآن الكريم، فأعلن إسلامه وأصبح من الدعاة إلى هذا الدين، هذا الرجل هو المغني السابق البريطاني المشهور «ستيفنز» [١] الذي قال: «في تلك الفترة من حياتي – يعني قبل إسلامه – بدا لي وكأنني فعلت كل شيء، وحققت لنفسي النجاح والشهرة والمال والنساء... وكل شيء، ولكن كنت مثل القرد أقفز من شجرة إلى أخرى، ولم أكن قانعًا أبدًا، ولكن كانت قراءة القرآن بمثابة توكيد لكل شيء بداخلي، كنت أراه حقًا، وكان الوضع مثل موجهة شخصيتي الحقيقية» [٢].

وبعد ذلك أقول: إنه لن يستطيع أحد أن يصف شيئًا من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، وأثره في النفوس، ولكن هي مشاعر

---

(١) كات ستيفنز، المغني السابق، البريطاني، النمساوي الأصل، المشهور في بلاده شهرة عظيمة، بيع من أسطواناته ما يقدر بمليون نسخة، اعتنق الإسلام ١٣٩٦هـ، بعد أن عرف القرآن الكريم بواسطة شقيقه، يقضي أغلب وقته الآن في الدعوة إلى الله تعالى. انظر ترجمته في: قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، ص٦٨.

(٢) نقلًا المرجع السابق، ص٦٨.

وأحاسيس توجد في نفوس المسلمين، فيحاولون التعبير عنها بما يستطيعون، ولكن أنى لهم أن يصلوا إلى وصف حقيقته، أو إدراك كنهه وعجائبه، وعظمة تأثيره.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وأشكره سبحانه وتعالى على توفيقه وتيسيره لي كتابة هذا البحث، وإتمامه على الوجه الذي لا أدعي فيه الكمال، ولكن حسبي أني بذلت فيه جهدي وفكري، وأفرغت فيه الوسع مع اعترافي بالعجز والتقصير، ويقيني أن ما لا يدرك كله لا يترك كله.

ثم إني أناشد كل ناظر عن علم في بحثي هذا أن يغض الطرف عما نبا به القلم، أو زلت به القدم، وأن يمحو سيئات هذا البحث بحسناته، وأن ينبهني مشكورًا إلى ما وقعت فيه من الخطأ، وأن يدعو لي ولوالدي وجميع المسلمين بالعفو والغفران.

هذا وقد وصلت في هذا البحث إلى نتيجة مهمة هي:

أن كتاب الله سبحانه وتعالى كتاب عظيم الأثر في النفوس، وأنه هو السبب الأكبر في انتشار الدين قديمًا وحديثًا، وأن من تمسك به نجا، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، ومن تركه ضلَّ وغوى، وأن القرآن الكريم، أثّر في العرب وفي غيرهم، كما أثر في القدماء والمعاصرين.

وأخيرًا أرجو من الله -عز وجل- أن ينفع بهذا البحث، ويبارك فيه، وأن يجعله خالصًا لوجه الكريم، هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١- إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، ت: محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ، ط دار الفكر، بيروت.

٢- الإسلام في العقل العالمي، د. توفيق يوسف الواعي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ط دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر.

٣- الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، المعروف بابن حجر، الطبعة الأولى، ط مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٤- الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة السابعة ١٤٠٦هـ، ط دار العلم للملايين، بيروت.

٥- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، ت: محمد بن عبدالرزاق الدويش، (رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة).

٦- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار المعارف، بيروت.

٧- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة:

حسن خالد، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت.

٨- الثقات، محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم التميمي البستي، ت: شرف الدين أحمد، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ، ط دار الفكر بيروت.

٩- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار الشام للتراث، بيروت.

١٠- الرياض النضرة في مناقب العشرة، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، ت: عيسى الحميري، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت.

١١- السيرة النبوية، أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، ت: طه عبدالرؤوف سعد، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ط دار الجيل، بيروت.

١٢- المسند، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت.

١٣- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر ابن إبراهيم القرطبي، ت: محيي الدين ديب مستو، وزملائه، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ط دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب،

دمشق.

١٤- النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز، الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ، ط دار القلم، الكويت.

١٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، ت: محمود الطناحي، وطاهر الزاوي، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط أنصار السنة المحمدية، باكستان.

١٦- تفسير ابن باديس، طبعة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ط مؤسسة المعارف للنشر والطبع، الجزائر.

١٧- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، ط دار الفكر بيروت.

١٨- تهذيب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ط دار الفكر، بيروت.

١٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، دون تاريخ الطبعة

ورقمها، ط مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٢١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ١٤٠٥هـ، ط دار الفكر بيروت.

٢٢- خصائص القرآن الكريم، د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ، ط مكتبة الحرمين، الرياض.

٢٣- دلائل النبوة، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، ت: محمد محمد الحداد، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، ط دار طيبة، الرياض.

٢٤- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: الدكتور عبدالمعطي قلعجي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ط دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ط المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٦- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٧- شرح النووي على صحيح مسلم، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ ط دار الفكر، بيروت.

٢٨- شرح مقدمة التفسير، محمد بن صالح العثيمين، الطبعة

الأولى ١٤١٥هـ، ط دار الوطن، الرياض.

٢٩- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة ١٤١٤هـ، ط دار الفكر، بيروت.

٣٠- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار إحياء التراث العربي.

٣١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٢- فتح الباري، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ، ط المكتبة السلفية، القاهرة.

٣٣- في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الثانية عشرة ١٤٠٦هـ، ط دار الشروق، بيروت.

٣٤- قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ط الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.

٣٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر

الهيثمي، طبعة ١٤٠٧هـ، ط دار الريان للتراث القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت.

٣٦- مُسلم الثبوت في أصول الفقه، محب الله بن عبدالشكور، المطبوع على حاشية لكتاب المستصفى، للغزالي، دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار الفكر بيروت.

٣٧- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، ت: حسين سليم أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ط دار المأمون للتراث، دمشق.

الفهرس

المقدمة ٥

الفصل الأول: الدعوة بالقرآن الكريم في النصوص الشرعية ١٣

الفصل الثاني: تطبيقات الدعوة بالقرآن في السيرة وجهود السلف الصالح ٢٦

الفصل الثالث: أثر القرآن الكريم في استجابة بعض المعاصرين وأقوالهم فيه ٥٦

الخاتمة ٨٣

المصادر والمراجع ٨٥

شركة مطبعة النرجس المحدودة
Narjis Printing Press Co. Ltd.
تلفون: ٤١٥٧٤١٢ - جوال: ٠٥٠٥٢٧٨٤٦١
E-mail: narjiscpp@yahoo.com

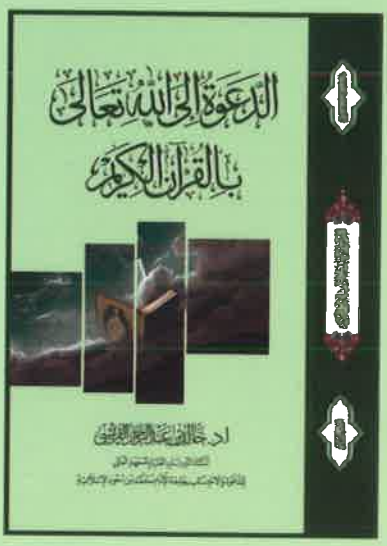

وكيل التوزيع: دار الحضارة للنشر والتوزيع

للتواصل مع الدار: ص. ب: ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
ف: ٠٠٩٦٦١١ ٢٧٠٢٧١٩ - المبيعات والتوزيع: ٠٠٩٦٦١١ ٢٤١٦١٣٩-ف: ٠٠٩٦٦١١ ٢٤٢٣٥٢٨
المنطقة الغربية: جوال: ٠٠٩٦٦ ٥٠٧٧٧٠٤٢١
البريد الالكتروني daralhadarah@hotmail.com
موقعنا الإلكتروني www.daralhadarah.com.sa
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

SR: 10
9786030215837

مطبعة النرجس - ج: ٠٥٠٥٢٧٨٤٦١